

الشعر والحياة الحديثة (١)

شاعر الهند رابندر نات تاغور

يعيش العالم الآن في عصر ثورة. فاعتقاده القديم وميله حتى تقوره في تغير وتبدل. ولم يشهد التاريخ تطوراً أصابه من التقلبات السريعة المفاجئة ما أصاب هذا التطور البادى في عقلية الجماعة والفرد. فالأخلاق تختلف، والأراء تتغير، والاعتقادات تتباين. والجيل الجديد قد دفعته الرغبة الملحة الى تجربة كل شىء في الحياة حتى نسى فن الحياة، فلا يملك الوقت للتفكير والتأمل، ولا يجد الفراغ للسرور الهادئ يتبع به نفسه، ولا الفرصة للقراءة يغذى بها روحه، وشدة الزمان وعنف الجهاد لا يسمحان لمرء أن يفك شئاً لارادة فيه ولا ثمرة، لذلك كان فن الشعر أبعد ما يكون عن الازدهار والانتشار. فالشعراء قليلون، وروائع الشعر نادرة، لأن طبيعة العصر تقتضى ذلك.

أنا لا أزعج أنى أفهم ميول العصر، ولكنى أسجل ما عليه الشعر العصرى من حاضر سيء وحال أليم. ليكن السبب في ذلك متصلاً بأى صورة من الصور بالجرب وأثرها في نفوس الشعوب التى صليت بنارها — وذلك مالا أجرؤ على تأييده — فان الامر الواقع أن ازدهار الشعر في هذه الساعة من أصعب الامور

ومما لاشك فيه أن الناس لا يجدون لثقافة الشعر فراغاً تركه السينما الناطق وموسيقى الجاز وذلك الحرص على أن يزدردوا في أربع وعشرين ساعة مقدراراً من التجارب والاختراعات والاحساسات كان يغذى آباء الاولين شهوراً عدة على أن هذه الحال من الظواهر الطارئة التى لا تلبث أن تزول، فان في الانسان جزءاً جوهرياً يقتضى الشعر ويتطلبه. أما وقت زوالها فذلك ما أجعله، ولكنه على أية حال لا يكون اليوم، لان الناس أصبحوا غير أهل لتقدير العمل الفنى، وإذا استطاع المسافر في قطار سريع أن يحسن التقدير لمنظر من المناظر، استطاع الرجل الذى يحيا هذه الحياة المحمومة أن يزن الحكم على قصيدة من القصائد. أن للحياة نسقا موزونا إذا أعجلته في حركته عرض الوجود كله للخطر. وقد نسى رجال اليوم ذلك فاصبحوا يركون الاحساس فوق الاحساس دون استمتاع ولا

(١) نشرها بالفرنسية السقيمة في عدد ابريل من مجلة (لوا)

تذوق، كالأكل الشره يبتلع اللقمة أثر اللقمة دون استمراء ولا مضغ ففاتهم بذلك خير ما في الحياة! تلك هى الحال الغالبة على كل شىء. ويريبنى الشك في أن مثل هذه الحال توفى بالانسانية الى السعادة حتى ولو حققت لها النجاح المادى، لأن هذا النجاح لا يعدو أن يصبح كل انسان قادرا على اكتساب ثروة تضمن له ترف العيش، وتنوع له صور الحياة، ولكن الواقع أن عبادة السرعة التى احتلت المشاعر وغلبت على الازدهان تستغرق جهد المرء في تمييزه على جاره وأخذه المهله على منافسه، والسرعة وأن بلغت بالناس بعض النجاح لا تستطيع على ما أظن أن تجدى عليهم جمال الحياة ورخاء الصدر. فالجيل الناشئ قد جنى من وراء السرعة معرفة واسعة بالاشياء وخبرة عظيمة بالامور، ولكنه على وشك أن يفقد حساسيته، ويوشك هذا الميل الى الافراط أن يطنى على العالم بأسره، لأن انتقال الافكار من قطر الى قطر لم يكن في زمن من الازمان أسرع منه الآن، ولقد راعى سريان هذا الداء الى شرق الهند بسرعة غريبة. فند قليل كان في البنغال جمهور عظيم قد سلم شعوره من شر الاخلاق، فكانت عباد الجمال من شعراء الشباب موضع اجلالهم وتقديرهم، ودواوين شعرهم مصدرا لغبطتهم وسرورهم، ولكن الهندود اليوم قد اخذوا باسباب الحياة الحديثة وهى كما قلت شر على الشعر وحائل دون ازدهاره

يزعم فريق من الناس ان تأخر الشعر نتيجة لتقدم العلوم في الثلاثين أو الاربعين سنة الأخيرة وزعمهم هذا باطل، فان نقاق العلم لا يستلزم حتما كساد الشعر.

وانما الخطر الحقيقى الوحيد هو أن الناس في خلال هذه الرجات الاجتماعية الحديثة يصبحون عاجزين عن ترجمة الخواطر بالشعر، قاصرين عن إدراك الجمال فى القصيد، وذلك ولا ريب عرض من أعراض الهرم. ومثل هذا العرض لا يظهر فى الشعوب الشابة لان حاسة الشعر خصيصة من خصائص الشباب. على أن هذه الحاسة يفقدها المرء بسهولة اذا لم يساعدها بالثقافة والمران، ومتى فقدها فقد معها نضرة العيش وجمال الحياة.

حافظ وشوقي

للدكتور طه حسين

ظهر هذا الكتاب القيم حديثاً وهو مجموعة ما أنشأه الدكتور في هذا الموضوع الطريف. طبع طبعاً حسناً على ورق صقيل فى زهاء ٢٥٠ صفحة. يباع فى المكتبة التجارية لصاحبها مصطفى محمد. وثمنه ١٠ قروش.